مناهج الترجمة عبر العصور

Translation Methodologies through the Ages

Dr. Lubna Farah
Assistant Professor, National University of Modern Languages, Islamabad
Email: lubnafarah@gmail.com
Dr. Muhammad Khurram Shahzad
Lecturer, Allama Iqbal Open University, Islamabad
Email: muhammad.khurram@aiou.edu.pk

Abstract
The history of translation methodologies goes back to the emergence of humans on the earth as it has developed along with the continuous evolution of communication and interaction between individuals and communities. Usually, it is believed that translation is just a transformation of words from one language to another, but professionally sound translation is not so simple and therefore, it has developed into a science called Translation Studies which was nurtured by a continuous creed of brilliant and distinguished translators through the ages. Beginning with the ancient Egypt and Mesopotamia and passing through the Greek and Roman civilisations, a host of theorists contributed into the development of translation methodologies and then this cherished task was transferred to the Muslim scholars and translators; until it was passed to the Western world during the Middle Ages. Some of the most prominent contributors and theorists of translation methodologies through the ages are Cicero, Horace, Aristotle, al-Jahiz, Hunayn bin Ishaq, Martin Luther, Saint Jerome, Etienne Dolet, Alexander Fraser Tytler, Goethe, Friedrich Schlegel, Mathew Arnold, John Catford, Justa Holz, Lawrence Venuti and Peter Newmark.
Keywords: Translation, Methodologies, through the Ages

المقدمة

بدأت عملية تطوير الترجمة مع ظهور البشر على الأرض وقيامه بالاتصال والتنسيق مع الشركاء للتعبير عن الأفكار والأحاسيس، ثم ارتقاء مختلف الثقافات والحضارات الانسانية ومحاولة الحفاظ على الذكريات عن طريق الرسوم والنقوش على الجدران وجلود الحيوانات أدت إلى المزيد من تعزيز الترجمة. وبالرغم من أنّ بعض الناس يعتبرون مصطلح نظرية الترجمة بمثابة إسم مغلوط مؤكدين أنّ:"الترجمة ليست نظرية ولا علماً

بل نوع من المعرفة حول عملية الترجمة التي نمتلكها ولا يزال علينا امتلاكها"[1] لكن عدداً من النقاد يعتقدون بأنّ نظرية الترجمة "تختص بنوع خاص من العلاقة بين اللغات، لذا فهي فرع من اللسانيات المقارنة".[2]

ومع ذلك، فإنّ نظرية للترجمة لا تقدم حلاً لكل قضايا الترجمة بل هي تقترح استراتيجيات للخروج من تلك المشاكل ونظرية مثالية تتسم دائماً بالتجريبية والحتمية والدقة والشمولية علماً أنّ هدف الترجمة كان توفير الفهم للنصوص المطلوبة اما نظريات الترجمة تحاول التمييز بين مختلف أنواع النصوص (المتواجدة في شتى أصناف الأعمال الأدبية النثرية والشعرية، والمقالات التقنية العلمية والمراسلات التجارية وغيرها) وهي تركز بالخصوص على عملية الاتصال بين اللغات كما يمكن استعراض فن الترجمة من طيف العديد من الجهات وأهمها قصد الكاتب وتنوع اللغات وتباين الثقافات وصعوبات التواصل بين الأشخاص وتغير الأساليب الأدبية وتقلب الأوضاع.

الجدير بالذكر أنّ أغلب المؤرخين والباحثين يقومون بتقسيم تاريخ نشأة مختلف نظريات الترجمة إلى أربع فترات وهي على النحو التالي:

مناهج الترجمة في العصور القديمة:

تمتد هذه العصور من الألفية الرابعة قبل الميلاد حتى القرن الخامس الميلادي اما هناك فرق التنظيم الاجتماعي بين العصور القديمة الآسيوية والعصور القديمة الأوروبية علماً أنّ أول آثار الترجمة توجد في النقوش والرسوم المنتمية إلى المملكة المصرية القديمة (2686–2181 ق. م). ومن ناحية أخرى، فإنّ اليهود الناطقين باللغة العربية كانوا مشغولين بالتجارة والنقل في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الخامس قبل الميلاد لكنهم لم يفهموا اللغة العبرية الكلاسيكية المتواجدة في الكتب المقدسة لذا فزعيم عبراني (نحميا) ترجم الكتب المقدسة إلى العربية. وعلى نفس المنوال، فإنّ اليهود الناطقين باللغة الاغريقية كانوا سكان مدينة الإسكندرية المصرية (المركز العلمي والتجاري للمنطقة آنذاك) خلال القرن الثالث قبل الميلاد وهم ترجموا العهد القديم للكتب المقدسة من اللغة العبرية إلى اللغة الاغريقية كما تمت ترجمة العديد من الأعمال الأدبية الاغريقية إلى اللغة اللاتينية وبدأ الرومان استيعاب عدد من عناصر الثقافة الاغريقية عن طريق الترجمة وتُعتبر ترجمة رموز وطلاسم اللوحة التذكارية (الحجر الرشيد – Rosetta Stone) من اللغات المصرية إلى الاغريقية ضمن الأمثلة الأكثر شهرة من تلك العصور.[3]

ومع ذلك، فإنّ أهم وأبرز المترجمين من هذه العصور هما شيشرون وهوارس الرومانيان اللذان قاما بترجمة عدد من الخطب والأعمال القانونية والسياسية والفلسفية والأخلاقية إضافة إلى الأشعار لاسيما أفلاطون (427-347 ق.م) وأرسطو (384-322 ق.م)، ومساهماتهما للغة اللاتينية لا تزال تُعتبر معالماً في تاريخ الترجمة كما يتفق كلاهما أنّ ترجمة المعنى بالمعنى أفضل من الترجمة الحرفية ويؤكد شيشرون قائلاً:"لو

اترجم حرفياً، فالنتيجة ستكون غير مألوفة وغريبة، ولو اضطر بسبب حاجة إلى تغير أي شيء من ترتيب الكلمات، سيبدو أنني تركت عمل المترجم."[4] وكل من شيشرون وهوراس يوضحان الفرق بين الترجمة الحرفية وترجمة المعنى بالمعنى كما يحذر هوراس من المغالاة في المحاكاة للغة المصدر قائلاً أنّ:

"الموضوع الذي معروف يمكن جعله ملكيتك طالما لا تضيع وقتك في التعامل بشكل مزيف ولا ينبغي أن تحاول ترجمة الأصل حرفياً مثل مترجم متذلل أو تورط نفسك أثناء المحاكاة للكاتب الآخر في الصعوبات التي تمنعك عن التخليص منها الخجل أو القوانين المصوغة بنفسك."[5]

ونظراً إلى عادة الاقتراض وايجاد الكلمات السائدة لدى الرومان، فإنّ هوراس أيضاً قد أوصى بتجنب استعمال الكلمات الجديدة وشبّه اضافة الكلمات الجديدة وانحطاط الكلمات الأخرى بتغيّر في الربيع والخريف، مؤكداً على إبداء الاعتدال. ووفقاً لهما (شيشرون وهوارس)، فإنّ مهارة المترجم تشمل القدر على شرح عاقل إزاء متن لغة المصدر وانتاج نسخة للغة الهدف، ليس معبراً عن الكلمة بالكلمة بل المعنى بالمعنى علماً أنّ المترجم مسؤول عن قراء لغة الهدف.

وهناك جهة أخرى للفكرة الرومانية بشأن إغناء اللغة بالترجمة وهي أولوية اللغة والآداب الإغريقية في الثقافة والتعليم لديهم كما كان أغلب القراء الرومان قادرين على فهم لغة المصدر (الاغريقية) وقاموا عموماً بالمقارنة بين لغتي المصدر والهدف أثناء القراءة لذا فالمترجمين الرومان لم يحتاجوا إلى الإخضاع التام للغة الأصل بسبب تقييم الترجمة بناء على الابداع والابتكار إضافة إلى ترويج نموذج فردي وحصري بدلاً من المحاكاة والاقتداء. ومع ذلك، فإنّ الترجمة كانت إحدى المنابع الرئيسية للانتاج الأدبي عند الرومان وهم دائماً حاولوا اتباع قوانين التميز المعترف بها في كل المجالات والأصناف الأدبية كما قد أدت توسعة الإمبراطورية الرومانية إلى ثنائية وتعددية اللغة لدى عدد كبير من أصحاب السلطة والموظفين الحكوميين والسكان إضافة إلى زيادة الفجوة بين اللغة اللاتينية الشفوية والأدبية.[6]

مناهج الترجمة في العصور الوسطى (الإسلامية والغربية):

من المعلوم أنّ العصور الوسطى هي الفترة الزمنية من التاريخ التي تمتد من القرن الخامس الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى نوعين متباينين من الأوضاع والظروف الأدبية والعلمية لدى المسلمين من جهة وعند الأوروبيين من جهة أخرى كما شهد العالم الإسلامي عصراً ذهبياً في هذه الفترة حينما كانت نفس العصور بمثابة الاستيقاظ من النوم الطويل للعالم الغربي.

وعندما نستعرض المناهج والنظريات السائدة للترجمة في العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى، فنجد أنّ أغلب المترجمين البارزين (ابن المقفع والجاحظ ويوحنا بن البطريق ويعقوب بن الكندي وحنين بن إسحاق وثابت بن قرة وابن ناعمة الحمصي ومتى بن يونس ويحي بن عدي وعمر ابن فرخان الطبري كانوا يتقنون

أكثر لغتي الأصل والهدف في نفس الوقت واستطاعوا أن يترجموا المعنى بالمعنى وبدون الاعتماد على لغة وسيطة كما تتميز تراجمهم بصدق النقل ومطابقة المعنى وصحة التعبير إضافة إلى حسن التبويب والايضاح. الجدير بالذكر أنّ اللغة العربية احتلت مكانة اللغة الرسمية في مجتمع العالم الاسلامي آنذاك وعدد كبير من المتعلمين ومتقني اللغات المتعددة كانوا يلجأون إلى اللغة السريانية للتواصل بين متحدثي مختلف اللغات كما يتفق كل القدماء عليه أنّ حذاق الترجمة في العالم العربي أربعة وهم حنين بن إسحاق وثابت بن قرة وعمر ابن فرخان الطبري ويعقوب ابن اسحاق الكندي اما حنين بن إسحاق أشهرهم ومن رواد ومؤسسي حركة الترجمة في العالم العربي، فهو كان متقناً لأربع لغات معاصرة (اليونانية والفارسية والسريانية والعربية).[7] وتطرقاً إلى المناهج المروجة والنظريات المتبعة لدى العرب أثناء الترجمة، فإنّ أهمها تتضمن تفضيل المطابقة المعنوية على المطابقة الحرفية ومحاولة تعريب المصطلحات والكلمات الأجنبية قدر المستطاع وفقاً للذوق والفهم واتقان لغتي الأصل والهدف إضافة إلى الإلمام بالعلوم المراد ترجمتها والكلام الفصيح الطلق واللجوء إلى المخطوطات الأصلية أو المقارنة بين نسختين للأصل والصدق والأمانة.

وتوجد هناك مختلف مدارس الترجمة خلال الفترة المشار إليها أعلاه من التاريخ العربي منها المدرسة السريانية ومدرسة بغداد اما المدرسة البغدادية هي أبرزها وتتميز بوجود فئة من المترجمين الذين يركزون مجرد على ميادينهم التخصصية ويختارون المعارف والكتب الأجنبية التي قد تساهم في التقدم الاجتماعي والانفتاح الفكري العقلي. وعلى ما يبدو، فإنّ الفرق الأساسي بين المترجمين الرومان والعرب هو استخدام الترجمة لاستكشاف الكنوز المخفية في اللغات والحضارات الأجنبية الأخرى ثم استخلاص واستنباط العلوم والمعارف الجديدة منها بدلاً من المحاكاة المحضة مثل الرومان كما قد أكد عدد من المترجمين العرب صحة القول ودقة المكتوب قبل القيام بالترجمة وذلك عن طريق اجراء زيارات شخصية إلى المناطق النائية في الدول المجاورة، الأمر الذي تسبب في التقدم والرقي العلمي والحضاري والأدبي شهده العالم العربي خلال العصرين الأموي والعباسي نتيجة للتعرف على آفاق جديدة من المعرفة والإدراك.

ومن الناحية الأخرى، فإنّ الترجمة في العصور الوسطى لدى العالم الغربي تتمحور على العموم حول النشاط التبشيري وترجمة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد من اللغتين العبرية واليونانية إلى مختلف اللغات الأوروبية وترجمة المعنى بالمعنى كانت النظرية المسيطرة في تلك القرون من التاريخ الغربي كما يؤكد الراهب والقسيس والمصلح الديني المسيحي الألماني الشهير مارتن لوثر (1483م-1546م) على ذلك في رسالة تعميمية قائلاً:

"أعرف جيداً كم من المهارة والعمل الجاد والعقل والبصيرة والفطنة ضرورية للترجمة المضبوطة ... انتقاد على كل الأشياء وإنجاز لا شيء هي فطرة العالم ... قواعد لغوية لازمة من أجل تصريف

الأسماء وتصريف الأفعال وصياغة الجمل لكنه ينبغي أخذ المعنى والموضوع في عين الإعتبار بدلاً من القواعد اللغوية لأنّ القواعد اللغوية لا تسود على المعنى."[8]

ومع ذلك، فإنّ هذه النظرية (ترجمة المعنى بالمعنى) تسببت في تقليل نفوذ وقوة سلطات الكنيسة لذا فإنها لم توافق معها كما يفيد المترجم البريطاني جيريمي موندي (ولد عام 1960م) بأنّ الترجمة الحرفية كانت مرتبطة بالكتاب المقدس والكتب الدينية والفلسفية الأخرى اما الترجمة غير الحرفية أو غير مقبولة أصبحت وتم استخدامها أسلحة ضد الكنيسة، مضيفاً أنّ هذه المناقشة حول المقارنة بين الترجمة الحرفية وترجمة المعنى بالمعنى استمرت بشكل أو بشكل آخر في غرب أوروبا حتى القرن العشرين.[9]

وبالرغم من الحقيقة أنّ شيشرون (106-43 ق.م) والقديس جيروم (347م-420م) ما زالا احتلا مكانة الكتّاب الكبار في مجال الترجمة خلال العصور الوسطى بالعالم الغربي وتمت الاستشارة منهما حول أسئلة النظرية وأيضاً التطبيق على حد سواء، فإنّ جيريمي موندي يعتقد بأنّ الترجمة تحولت مع مرور الوقت إلى أسلحة سياسية ضد الكنيسة في أوروبا وبدأت أخيراً ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات العامية كما تبنى بعض المترجمين استراتيجيات واضحة للترجمة على ذلك النمط ومن أبرزهم مارتن لوتر الألماني (1483م-1546م) وإتيان دولت (Etienne Dolet) الفرنسي (1509م-1546م).[10]

مناهج الترجمة في عصر النهضة الأوروبية:

يمتد عصر النهضة الأوروبية من القرن الرابع عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر الميلادي الذي شهد اهتماماً واكتراثاً كبيراً للترجمة من اللغتين الاغريقية واللاتينية واللغات الأخرى مثل العربية إلى اللغات الأوروبية المختلفة خصوصاً البرتغالية والأسبانية والألمانية والفرنسية والانجليزية، وتم استخدام الترجمة في عصر النهضة الأوروبية أداةً أساسيةً للتقدم الأدبي والفني إضافة إلى النزعة الانسانية والإصلاح الديني كما اعتقد الانسانيون (الدارسون والكتّاب والزعماء المدنيون) بأنّ قيام الطلاب بالترجمة بشكل منظم ومتواصل يتسبب في فصاحة الكلام وأغلب هؤلاء الدارسين والكتّاب والزعماء المدنيين من عصر النهضة الأوروبية كانوا يعتبرون الترجمة عملاً بلاغياً بدلاً من نقل لغوي التي تحتاج إلى تمارين للتعبير الشفوي علماً أنّ اللغة اللاتينية قد احتلت مكانة اللغة السائدة خلال العصور الوسطى في أوروبا اما انطلاق عصر النهضة أدى إلى تعزيز دور اللغات القومية والوطنية.

وعلى ما يبدو، فإنّ الترجمة الحرة أصبح الأسلوب المفضل لدى غالبية المترجمين من عصر النهضة الأوروبية ومن أبرزهم ألبريشت فون آيب (Albrecht von Eyb) الألماني (1420م-1475م) وهاينرش ستاينهويل (Heinrich Steinhöwel) الألماني (1412م-1482م) وجواشان دي بيليه (Joachim du Bellay) الفرنسي (1522م-1560م) وإتيان دولت (Etienne Dolet) الفرنسي (1509م-1546م) وجاك

أميوت (Jacques Amyot) الفرنسي (1513م-1593م) ووليام تيندال (William Tyndale) الانجليزي (1494م-1538م). ويمكن القول أنّ دور الترجمة انتقل إلى الدور الأخلاقي والتعليمي والسياسي في عصر النهضة الأوروبية بالمقارنة مع الدور الخطابي والديني خلال العصور الوسطى كما أدى استخدام اللغات العامية في الآداب إلى اكتساب بعد اضافي للترجمة وزاد التفاعل الثقافي والاجتماعي بين مختلف المجتمعات الأوروبية.[11]

وعلاوة على ذلك، فإنّ اختراع الطباعة وحدوث الثورة العلمية والتكنولوجية واستكشاف العالم الجديد (قارتي أمريكا الشمالية والجنوبية) تغيرت وظيفة الترجمة بشكل ملحوظ وبدأت تقديم نظريات جديدة لها أيضاً كما يُعتبر العالم والمترجم الفرنسي إتيان دولت الذي كان أعدم بسبب تهمة الإلحاد مؤسساً للنظريات الجديدة للترجمة في أوروبا وهو قام في عام (1540م) بنشر دليل موجز حول مبادئ الترجمة موضحاً بعض القواعد للمترجم وأهمها كما يلي:

- إدراك كامل للمفهوم والمعنى المتواجدين في النص الأصل.
- معرفة كاملة حول لغة المصدر ولغة الهدف.
- اجتناب اعادة الترجمة حرفياً.
- استخدام الأشكال الشائعة للكلام.
- ترتيب مناسب وصحيح للكلمات.
- استخراج المفهوم المرجو والمطلوب من النص الأصل.[12]

ومع ذلك، فإنّ اتجاه وميل كل من ألبريشت فون آيب وهاينرش ستاينهويل وجواشان دي بيليه وإتيان دولت وجاك أميوت ووليام تيندال نحو الترجمة الحرة وترجمة المعنى بالمعنى خصوصاً للكتب المقدسة والأعمال الفلسفية القديمة أثار معارضة شديدة واستقبال عدائي من رجال الدين وأصحاب الكنيسة والمحافظين كما تم اتهام إتيان دولت الفرنسي ووليام تيندال الإنجليزي بالالحاد والزندقة ثم كلاهما أعدما شنقاً وحرقاً بعد الربط بعمود كبير، لكنه بالرغم من الادانة الرسمية وحتى الاعدام، فإنّ المنافسة بين اتباع ثلاثة مذاهب للترجمة (الترجمة الحرفية وترجمة المعنى بالمعنى والترجمة الحرة) زادت مع مرور الوقت وعدد من النقاد والمترجمين حاولوا البحث عن سبيل أوسط كما دعا الناقد والمترجم البريطاني جون درايدن المترجمين إلى الإخلاص بروح الأصل الذي ليس طلباً للترجمة الفنية العالية بل تأكيد رمزي على ضمان التوافق والتطابق بين لغة الأصل ولغة الهدف عن طريق ايجاد مزيج من الترجمة الحرفية والترجمة الحرة وترجمة المعنى بالمعنى، قائلاً

أنّ:"كاتباً يملك خيار الأفكار والكلمات الذاتية التي لا يملكها المترجم، هو مقيد بمفهوم الكاتب الأصل والتعابير التي أقرب لها."[13]

مناهج الترجمة في العصر الحديث:

أوائل العصر الحديث:

بالرغم من وجود اتجاهات كامنة ومناهج محجوبة للترجمة منذ العصور القديمة من التاريخ الإنساني وثم الاعتراف بها في منتصف القرن العشرين الميلادي، فإنّ جذور هذه الفكرة تعود إلى عصر الثورة الصناعية في أوروبا الذي يمتد من حوالي ستينات القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ويُعتبر الكاتب والقاضي والمؤرخ الاسكتلندي الكسندر فريزر تيتلر (Alexander Fraser Tytler) (1747م-1813م) مؤسس النظريات الحديثة للترجمة الذي كتب مقالاً بعنوان (مبادئ الترجمة) في عام (1791م) وأكد على ضرورة تحديد المبادئ والقواعد الأساسية للترجمة قائلاً أنّ:

"بالرغم من التجربة اليومية من منافع الترجمة الجيدة وفتح جميع مخازن المعرفة لنا وإيجاد التفاعل الحر للعلوم والأدب بين كل الشعوب الجديدة، فإنه تم القيام بقليل جداً تجاه تحسين فن (الترجمة) نفسه عن طريق التحقيق في قواعده أو كشف النقاب عن مبادئه ... أنا ما وجدت شيئاً الذي كُتب مهنياً حول الموضوع ... يُعتقد عموماً أنّ هذه مهنة التي يمكن اختيارها مع جزء ضئيل من العبقرية والقدرات ... وموضوع المقال التالي محاولة من نفس النوع ... توضيح المبادئ العامة للفن."[14]

وقد قدم الكسندر فريزر تيتلر عدداً من المبادئ والقواعد للترجمة في هذا المقال ومن أهمها هي:

- محاكاة كاملة للأفكار الواردة في الأصل.
- معرفة لغة الأصل والإلمام بالموضوع.
- تشابه الأسلوب والنمط بين الأصل والترجمة.
- سهلة الصياغة وفقاً للأصل.
- اجتناب المصطلحات القديمة وبساطة التعابير.[15]

وعلاوة على ذلك، فإنّ العديد من الشعراء والكتّاب والنقاد واللغويين واللسانيين والفلاسفة الأوروبيين ساهموا في إبراز أهمية النظريات للترجمة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ومنهم صامويل جانسون (Samuel Johnson) الإنكليزي (1709م-1784م) ويوهان فولفغانغ فون غوته (Johann Wolfgang von Goethe) الألماني (1749م-1832م) وصامويل تايلر كولريدج (Samuel Taylor Coleridge) الإنكليزي (1772م-1834م) وفريدريش شليجل (Friedrich Schlegel) الألماني (1772م-1829م)

وإدوارد فيتزجيرالد (Edward FitzGerald) الإنجليزي (1809م-1883م) وماثيو أرنولد (Mathew Arnold) الإنجليزي (1822م-1888م).

وقد أصبح المترجم رساماً ومقلداً بحلول القرن الثامن عشر الميلادي الذي مسؤول أخلاقياً عن الموضوع الأصل والقارئ المستلم في نفس الوقت كما يصرح الكاتب والشاعر والناقد والمعجمي الإنجليزي صامويل جانسون أنّ "تحقيق الأناقة مرغوب فيه لكن ذلك مشروط بعدم ترك أي شيء والمطلوب من كاتب هو أنه تتم قراءة أعماله".[16] ويفيد في مكان آخر بأنّ الأم في البيت، والأطفال في الأزقة والشوارع، والرجل العادي في السوق هم الذين يعرفون طريقة النطق الصحيح للغة لذا فينبغي ملاحظة حركات أفواههم أثناء الكلام قبل القيام بالترجمة.[17]

ويعتقد الكاتب والشاعر والأديب والفيلسوف والعالم الألماني يوهان فولفغانغ فون غوته بأنّ كل أدب ينبغي أنّ يمر بثلاثة مراحل الترجمة قبل الوصول إلى النضوج وهي كما يلي:

1. **المرحلة الأولى:** تعرف على العالم الخارجي حسب الشروط الشخصية.
2. **المرحلة الثانية:** استيعاب المفهوم واعادة الإنتاج بالاستبدال والإحلال.
3. **المرحلة الثالثة:** ايجاد أسلوب جديد الذي يدمج ندرة الأصل مع الصياغة الحديثة.[18]

وعلى نفس المنوال، فإنّ الشاعر والناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد يقول أنّ مترجماً ناجحاً يستخرج المفهوم الحقيقي من الموضوع ولا يتعرض للتضليل بسبب حب خاطئ أو سوء الفهم وهو دائماً يبحث عن المعنى الواقعي، مؤكداً أنّه لا إشارة ضئيلة عند المترجم الناجح ولا ظل خفيف لديه كما يعرف أنّ كل أنواع الترجمة – النثرية أو الشعرية – تهدف إلى اعادة إنتاج الأصل وإرجاع التأثيرات المتواجدة فيه.[19]

أواخر العصر الحديث:

يصف أواخر العصر الحديث فترة زمنية ممتدة من خمسينات القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين الميلادي التي تتميز باستخدام الترجمة أداة للدعاية السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية الثقافية، وقامت به القوى الاستعمارية وقادة الحركات التحررية وزعماء الثورات والمبشرين والدعاة إضافة إلى مؤيدي ومعارضي النظامين الرأسمالي والإشتراكي على حد سواء علماً أنّ الترجمة هي اعادة كتابة النص الأصل وكل التراجم تعكس معتقدات خاصة وأساليب أدبية محددة التي تتلاعب باللغات والآداب للحصول على أهداف معينة، لذا فاستخدام ايجابي للترجمة قد يتسبب في تطور الأدب وترويج الأفكار والأصناف الجديدة في المجتمع لكن استعمالها السلبي أيضاً قد يؤدي إلى قمع الابتكار وتشويه الحقائق والضيق الفكري والتطرف الذهني.

والفكرة الأساسية السائدة خلال الفترة (من النصف الثاني للقرن التاسع عشر إلى النصف الأول للقرن العشرين الميلادي هي أنّ الترجمة ليست مجرد وسيلة للاطلاع بل باعث على الابتكار الحقيقي والخيال في نفس الوقت التي تملك قوة ابداعية لها تأثيرات ثقافية واجتماعية وهي تلعب دوراً مهماً في بناء الشعوب والأقوام والآداب واللغات[20] كما أصبحت الترجمة جزءاً لا يتجزأ من الحركة التجديدية العصرية وعدد من الأدباء والمفكرين الأوروبيين في الفترة المشار إليها كانوا مترجمين بارعين الذين استخدموها وسيلة لاستعراض اللغات والآداب والثقافات والأديان والمجتمعات الأخرى إضافة إلى الحقائق العلمية والنظريات الفلسفية والسياسية.

الجدير بالذكر أنّ النصف الثاني للقرن العشرين الميلادي شهد نشر العديد من الدراسات اللغوية واللسانية في مختلف أنحاء العالم التي دعت إلى الاعتراف بأنّ الترجمة علم مستقل بذاته مقترحة إسماً حصرياً له (علم دراسات الترجمة) كما عقدت سلسلة من المؤتمرات والمحاضرات في الجامعات الأوروبية والأمريكية خلال الخمسينات والستينات والسبعينات للتأكيد على هذه النقطة وقام عدد من اللغويين واللسانيين اللغوي الأمريكي بنشر المقالات والكتب حول العلم الجديد ونظرياته ومبادئه وقواعده كما يفيد اللغوي جون كتفورد (John Catford) الاسكتلندي (1917م-2009م) بأنّ:

> "الترجمة وظيفة ذات أهمية كبيرة في العالم الجديد ويهتم بها ليس فقط اللغويون والمترجمون المهنيون أو الهاويون وأساتذة اللغات بل المهندسون الالكترونيون والمتخصصون في الرياضيات أيضاً ... تناول الأدباء (هذا) الموضوع مع وجهات نظر مختلفة ... الترجمة ليست تقنية خطرة بذاتها بشرط أنه يتم فهم طبيعتها واستخدامها خاضع للمراقبة الحذرة."[21]

وعلى ما يبدو، فإنّ المنهج السائد للترجمة خلال النصف الثاني من القرن العشرين هو التكافؤ في الترجمة وكل اللغويين واللسانيين والمترجمين البارزين من هذه الفترة الزمنية يعتبرون الترجمة عملية لانشاء علاقة بين لغتي المصدر والهدف، مؤكدين أنّ هناك نوعان أساسيان للتكافؤ في الترجمة وهما:

1- التكافؤ الواقعي عبارة عن ترجمة المعنى بالمعنى ويركز على المستلم وقارئ لغة الهدف.
2- التكافؤ العرفي يهتم خصوصاً بالجماليات والمعاني الحرفية للكلمات والتعابير.

وعلاوة على ذلك، فإنّ العديد من المناهج والنظريات للترجمة ظهرت أواخر القرن العشرين ومن أهمها هي:

- **نظرية الترجمة المعنوية والترجمة الاتصالية:** قدم هذه النظرية الأستاذ بيتر نيومارك (Peter Newmark) الانجليزي (1916م-2011م) الذي يُعتبر واحداً من مؤسسي علم دراسات الترجمة له عدد من المؤلفات في هذا المجال ومنها كتاب للترجمة (1988م) وفقرات حول الترجمة (1989م) وحول

الترجمة (1991م) كما تهدف الترجمة المعنوية إلى لغة المصدر بينما الترجمة الاتصالية تركز على لغة الهدف.[22]

- **نظرية الترجمة العلنية والخفية:** قدمها اللغوية والباحثة جوليان هاوز (Juliane House) الألمانية (ولدت في عام 1942م) لها عدد من المؤلفات في مجال علم دراسات الترجمة ومنها التواصل بين اللغات والثقافات (1986م) والتواصل متعدد اللغات (2004م) والتقارب والتباعد في حالات الاتصال اللغوي (2010م) كما لا تتظاهر الترجمة العلنية اتباعاً كاملاً للنصل الأصل بينما الترجمة الخفية تحاول دائماً تطابق بين ثقافتي لغة المصدر ولغة الهدف.[23]
- **نظرية الاتصال بين الثقافات:** قدمتها المترجمة والأستاذة سوزان باسنت (Susan Bassnett) البريطانية (ولدت 1945م) التي تعتقد بأنّ الترجمة تملك أبعاد تاريخية واستراتيجياتها العملية تكون وفقاً للأوضاع الثقافية والاجتماعية المحيطة بها، مؤكدة أنّ اللغة مثل القلب في جسد الثقافة والتفاعل بينهما سبب استمرارية الحياة لذا لا يمكن تجاهل الثقافة أثناء الترجمة.[24]

وعلاوة على ذلك، فإنّ العديد من المترجمين والمنظرين والباحثين الآخرين قدموا نظريات متنوعة حول الترجمة منذ أواخر القرن العشرين وحتى الآن موضحين مختلف النواحي المرتبطة بعلم دراسات الترجمة ومن أبرزهم جوستا هولز مانتيري (Justa Holz-Manttari) الفنلندية (ولدت في 1936م) وانطوان بيرمان (Antoine Berman) الفرنسي (1942م-1991م) ومنى بيكر المصرية (ولدت في 1953م) وهربوت بول جرايس (Herbert Paul Grice) البريطاني (1913م-1988م) وشيري سايمون (Sherry Simon) الكندية (ولدت في 1948م) وغاياتري شاكرافورتي سبيفاك (Gayatri Chakravorty Spivak) الأمريكية من أصل هندي (ولدت في 1942م) وباسل حاتم العراقي (ولد في 1947م) ولورانس فينوتي الأمريكي (ولد في 1953م).

وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك فرق كبير وملحوظ بين الترجمة البابلية القديمة والترجمة الجديدة المدعومة من مختلف وسائل أنواع التقنيات الحديثة منها وسائل الاتصال والحاسوب والقواميس الالكترونية والمكتبات الرقمية لكن المشاكل الأساسية المواجهة خلال التواصل والارتباط بين الثقافات لا تزال نفسها وربما تقليص المسافات وتسريع الاتصال وزيادة التفاعل بين مختلف أنحاء العالم تطلب أعلى مستوى من الادراك والمعرفة والإلمام بالحضارات والثقافات والمجتمعات الأخرى كما يطبق هذا المبدأ على جميع أنواع التراجم السائدة في العصر الحاضر وتحتاج كل من الاجتماعات الدولية والحكومية إلى التقارير العلمية والدراسات الأنثروبولوجية حول القبائل العجيبة المتواجدة في غابات أفريقيا وأمريكا الجنوبية أو جزر المحيط الهادئ وحتى برمجيات الترجمة الآلية إلى الأكثر من الدقة والعمق والبراعة في الترجمة.

وبغض النظر إلى أهمية الترجمة ولا سيما الترجمة الثقافية، فإنّ الاستراتيجيات المرتبطة بها تختلف من منظر إلى آخر وبعضم يعتبرون الترجمة بمثابة محاولة التدخل والتلاعب بالأفكار والمشاعر والعواطف الأصلية المكتوبة في النص المصدر بينما الآخرون يعتقدون بأنّ الترجمة وبالخصوص الترجمة الثقافية أو الأدبية عملية مريرة وعديمة الفائدة وربما جميع التراجم سيئة علماً أنّ أغلب المترجمين يسعون لايجاد نوع من التعادل والتكافؤ بين التعابير الأجنبية والمحلية.[25] وبناء على ذلك، فإنّ الترجمة بين ثقافتين ومجتمعين مهمة حساسة للغاية وذلك للتجنب من تحويل قطعة أدبية رائعة إلى مقال ممل وركيك الذي فقد الروعة والبهجة والجمال. وعلى سبيل المثال، فإنّ بعض التراجم قد تثير المشاعر المذهبية بسبب قلة المعرفة أو تعبير خاطئ حول المعتقدات والمفاهيم والقيم لذا فتم تحديد مجموعة من الشروط للمفسر والمحدث والفقيه في الإسلام منها صحيح العقيدة والإيمان والتمكن من علم القرآن الكريم والأحاديث النبوية والاتقان اللغة العربية وفروعها وفهم الاختلافات اللغوية والإعرابية والتجويد بالإضافة إلى قدرة استنباط المعاني والترجيح والموازنة واستنتاج المفاهيم الخفية وراء النصوص كما ذكر الإمام مالك في الموطأ أنّ ابن عمر رضي الله عنهما "أقام على حفظ سورة البقرة ثمان سنين".[26]

ولا شك أنّ الترجمة جزء لا يتجزأ للحضارة الانسانية ولا سيما الاهتمام المتزايد الحديث بالترجمة الثقافية يدل على أهميتها لدى الباحثين والمنظرين الجدد وجامعات الدول المتقدمة المتطورة كما يفيد إدوار فيتزجيرالد (Edward Fitzgerald) (1809م-1883م) الشاعر والكاتب والمترجم الانجليزي بأنّ "عصفور حي أفضل من عقاب محشو"[27]. ومع ذلك، فإنّ الترجمة عمل معقد وذلك بسبب اختلافات جذرية بين اللغات حتى أحياناً لا يمكن القيام بالتواصل المناسب بين لغتين مختلفتين وإزالتها شبه مستحيل كما يواجه المترجم صراعاً مستمراً بين الصورة والمعنى، وهو قد يخسر مغزى الكلام والنكهة الجمالية هارباً فقط وراء الصفات الأسلوبية في النص المستهدف أو محاولاً الامتثال للمعاني الحرفية المتواجدة في النص الأصلي.

وعلى نفس المنوال، فإنّ المترجم يعاني من معضلة متواصلة بين الحرف والروح لأنّ ميل مفرط إلى أي واحد منها قد يخرب المفهوم الأساسي للنص الأصلي أو الجوهر المركزي للنص المستهدف في نفس الوقت. وعلاوة على ذلك، فإنّ تطابق وانسجام المترجم مع وسائل الاتصال الجديدة والمتغيرة ضروري للغاية، واختيار الأفضل والأنسب منها سيؤدي إلى الأكثر من التأثير والقبول الجماهيري علماً أنّ الترجمة ليست ملكية شخصية بل خدمة عامة ومبادئها تتغير مع مرور الوقت ووفقاً للاحتياجات المعاصرة لذا فينبغي المترجم ادراك دوره الحقيقي الذي مزيج من الفن والعلم.[28]

وتواجه الترجمة عموماً مجموعة من القيود المرئية والخفية التي تفرضها أوضاع سياسية واجتماعية أو سياقات ثقافية وأساليب أدبية لغوية سائدة أو وسائل الاتصال المتاحة. وعلى سبيل المثال، فإنّ ترجمة وثائق قانونية

من الانجليزية إلى الإسبانية ستبرز كل الاختلافات الأساسية بين القانون المشترك الانجليزي والقانون الروماني، وهكذا تباين الثقافات يضطر المترجم إلى تعديل أسماء الأطباق المرغوبة لدى شخصيات الروايات والمسرحيات والقصص حسب المنطقة التي تتحول إلى الأرز بالسمك في جنوب شرق آسيا ومحشى الكرنب باللحم المفروم في تركيا وسمك القد المطهى في إيطاليا.[29]

وبناء على ذلك، فإنّ اللغات أنظمة رمزية والكلمات أدوات التلاعب بالأفكار والمعاني تحفيز واستجابة بينما توجد علاقة بين الايماءات والتصرّفات لذا فالمترجم الحاذق يحاول دائماً تكرار نفس التأثير في الترجمة الذي وجد أو لاحظ لدى النص الأصلي وقراءه. الجدير بالذكر أنّ العديد من علماء النفس الأمريكيين مثل ميلر (Miller) (1920م-2012م) وجالانتر (Galanter) (1924م-2016م) وبريبرام (Pribram) (1919م-2015م) قدّموا نظريات نفسية التي تعرض تماثلاً ملحوظاً بين علمي النفس واللغويات، موضحة أنّ أساليب التصرف الإنساني تتوافق كثيراً مع الهياكل المتواجدة في اللغة وكل من الانطباع والتخطيط والاختبار ورد الفعل تساهم في تشكيل التصرّف النهائي.[30]

.....

References

[1] Approached to Translation: Peter Newmark, 4th Edition, Pergamon Press, UK, 1986, p/59

[2] A Linguistic Theory of Translation: C.J. Catford, Oxford University Press, 1965, p/20

[3] Translation Theories and Allied Disciplines, http://www.anukriti.net, 13/12/2018.

[4] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, London-UK, 1980, p/63.

[5] On the Art of Poetry: Horace, Harmondsworth, Penguin Books, 1965, p/77-97.

[6] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, London-UK, 1980, p/64.

[7] al tarjuma eind al Arab (min aehd khalifa al Ma'mun Ila madrassah talitala): Mo'nis Miftah, Al Quds al-Arabi daily journal, 23/7/2013.

[8] Table Talks (1532): Martin Luther, Babel (Quarterly Magazine), IX (1), 1970, UK.

[9] The Routledge Companion to Translation Studies: Jeremy Munday, 2009, USA, p/3

[10] The Routledge Companion to Translation Studies: Jeremy Munday, 2009, USA, p/4

[11] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, London-UK, 1980, p/58-59.

[12] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, London-UK, 1980, p/61

[13] Preface to Sylvae: John Dryden, Oxford University Press, London, 1913.

[14] On the Principles of Translation: Alexander Fraser Tytler, J.M. Dent & Sons Ltd.,
London, 1907, p/2-5.

[15] On the Principles of Translation: Alexander Fraser Tytler, J.M. Dent & Sons Ltd.,
London, 1907, p/XI-XIV.

[16] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, London-UK, 4th Edition, 1980, p/70.

[17] Biographia Literaria: Samuel Taylor Coleridge, Clarendon Press, UK, 1907, Volume I, p/138.

[18] After Babel (Aspects of Language and Translation): George Steiner, Oxford University
Press, UK 1998, p/271.

[19] On Translating Homer: Mathew Arnold, a lecture given at Oxford University, 1862.

[20] The Translator's Invisibility: Lawrence Venuti, Routledge, London-UK, 2004, p/74

[21] A Linguistic Theory of Translation: J.C. Catford, Oxford University Press-UK, 1965, p/vii-viii

[22] A Textbook of Translation: Peter Newmark, Prentice Hall International, UK, 1988, p/47

[23] Translation Quality Assessment (Past and Present): Juliane House, Routledge, UK, 2015, p/65-66

[24] Translation Studies: Susan Bassnett, Routledge, UK, 3rd Edition, 2005, p/23

[25] Pushkin and His English Translators: Max Eastman, New Republic, 1936, p/187-188.

[26] al eteqan fi aloom al Quran: Jalal ud Din Abu al-Fazl al-Sayyuti, V/2, p/181

[27] Letters and Literary Remains: Edward Fitzgerald, Vol 1, Macmillan-UK, 1903, p/100.

[28] Toward a Science of Translating: Eugene Nida, E.J. Brill - Netherlands, 1964, p/2-3.

[29] Jiggs an I: George McManus, Collier's magazine-USA, 19/1/1952, p/66-67.

[30] Toward a Science of Translating: Eugene Nida, E.J. Brill - Netherlands, 1964, p/7-8.